



منازل محروقة ومهدمة وعائلات ثكلى، كان هذا هو نفس المشهد تماماً الذي تكرر في قرية تلو أخرى من قرى منطقة جبل الزاوية في سوريا، التي تقع شمال غربي مدينة حماه المركزية. وصفت لنا هذه العائلات الأعمال الوحشية التي ارتكبها الجنود السوريون بالقول إنه كان يتم اقتياد أقاربهم من مختلف الأعمار إلى أماكن بعيدة وإطلاق النار عليهم وإضرام النيران في أجسادهم، في كثير من الأحيان، مما يجعلهم بشكل حرفي جزءاً من سياسة «الأرض المحروقة» للجيش السوري.

لقد تحدثت مع بعض الناس الذين ينتابهم الذعر من مغادرة منازلهم. تنتشر مواقع الجيش السوري في أعلى القلال المحيطة بالقرى الموجودة في هذه المنطقة، بينما توجد نقاط التفتيش الخاصة بالجيش على كل الطرق الرئيسية. يشعر السكان المحليون بالرعب والذعر حتى في المناطق التي تخضع للسيطرة الظاهرية للمعارضة المسلحة، حيث يدركون جيداً أنه من الممكن أن يعيد الجيش تكرار الهجوم الواسع النطاق الذي شنه على مدينتي حمص ودرعا في الأشهر القليلة الماضية.

### يتساءل الجميع هنا: لماذا تخلّى عنا العالم بأسره؟

بعد مضي أكثر من عام على اندلاع الثورة السورية، فشل الزعماء الدوليون في الاتفاق على خطة عمل فعالة لتقديم الإغاثة وحماية المدنيين السوريين الذين ما زالوا مستهدفين بلا رحمة من قبل القوات الحكومية لأنهم تجرأوا على الدعوة لـإسقاط الرئيس بشار الأسد ونظامه القمعي. تعرض المئات من المتظاهرين المسلمين المطالبين بالإصلاح إلى القتل رمياً بالرصاص، فضلاً عن الآلاف الآخرين الذين تعرضوا للإصابة أو تم إلقاء القبض عليهم.

أحصت منظمة العفو الدولية مقتل أكثر من 9.400 شخص في سوريا منذ قيام القوات الحكومية بإطلاق النار على المتظاهرين لأول مرة في شهر مارس (آذار) من عام 2011، فضلاً عن مقتل أكثر من 1.300 شخص منذ بدء مهمة مراقب

يتمثل أحد أوجه القصور الرئيسية في مهمة المراقبين الدوليين، التي جاءت كجزء من خطة النقاط الـ6 التي طرحتها مبعوث الأمم المتحدة، كوفي أنا، في عدم وجود تفويض للمراقبين لرصد انتهاكات حقوق الإنسان والتحقيق فيها، بما في ذلك جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية.

وبالنظر إلى رفض الحكومة السورية السماح لمنظمات حقوق الإنسان والمنظمات الدولية – بما في ذلك لجنة الأمم المتحدة لقصي الحقائق في سوريا التي تأسست في أواخر العام الماضي – بالدخول غير المقيد إلى البلاد، تزداد الحاجة إلى ضرورة قيام الأمم المتحدة برصد هذه الانتهاكات والتحقيق فيها.

تؤكد وفاة 108 أشخاص في بلدة الحولة السورية قبل أيام، جراء وابل من القذائف وقدائـف «الهاون» والصواريـخ التي أطلقـها الجيش السوري، فضلاً عن الغارات التي شنـها على المناطق السكنـية، أن بعـثة مراقبـي الأمم المتحدة يـنبـغي أن تقوم بالتحـقيق في المـزاعـم حول حدـوث اـنتـهاـكـات من كـلاـ الجـانـبـينـ.

يـسـتطـيعـ مـراـقبـوـ الأمـمـ المـتـحـدةـ تـمـرـيرـ مـعـلـومـاتـ شـدـيدـةـ الأـهـمـيـةـ لـلـمـحـقـقـينـ، بـمـنـ فـيـ ذـلـكـ المـحـقـقـونـ التـابـعـونـ لـلـجـنـةـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدةـ لـنـقـصـيـ الـحـقـائـقـ فـيـ سـوـرـيـاـ. وـحـيـثـ إـنـهـ لـمـ يـحـدـثـ تـوـافـقـ دـوـلـيـ حـوـلـ مـاـ يـنـبـغـيـ الـقـيـامـ بـهـ فـيـ سـوـرـيـاـ حـتـىـ الـآنـ، يـشـعـرـ هـؤـلـاءـ الـأـشـخـاصـ الـذـيـنـ قـامـواـ بـاـرـتـكـابـ أـعـمـالـ الـعـنـفـ وـالـدـمـارـ بـالـرـاحـةـ لـلـاسـتـمـرـارـ فـيـ أـفـعـالـهـ كـمـاـ لـوـ كـانـواـ فـوـقـ الـقـانـونـ. تـغـذـيـ حـالـةـ الـتـرـاـخيـ الـحـالـيـ الـشـعـورـ بـالـسـخـطـ الـمـنـشـرـ بـيـنـ السـكـانـ، الـذـيـنـ يـشـعـرـونـ بـأـنـ الـعـالـمـ قـدـ تـخـلـىـ عـنـهـمـ. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ حـالـةـ الـذـعـرـ الـتـنـتـابـ الـأـشـخـاصـ الـذـيـنـ أـجـرـيـتـ مـعـهـمـ بـعـضـ الـلـقـاءـاتـ، يـؤـكـدـ هـؤـلـاءـ الـأـشـخـاصـ رـغـبـهـمـ فـيـ أـنـ يـعـلـمـ الـعـالـمـ مـاـذـاـ يـحـدـثـ هـنـاـ.

وـفـيـ إـحـدـىـ الـقـرـىـ الـتـيـ تـقـعـ شـرـقـ بـلـدـةـ إـحـسـمـ –ـ الـتـيـ تـقـعـ أـيـضـاـ إـلـىـ الشـمـالـ الـغـرـبـيـ مـنـ مـدـيـنـةـ حـمـاـهـ –ـ أـخـبـرـتـنـيـ إـحـدـىـ السـيـدـاتـ كـيـفـ قـامـ الـجـنـوـدـ بـإـطـلـاقـ النـارـ عـلـىـ جـارـهـ، وـهـوـ أـبـ لـ8ـ أـطـفـالـ، الـذـيـ كـانـ فـيـ أـواـخـرـ الـخـمـسـيـنـاتـ مـنـ عـمـرـهـ، ثـمـ قـامـواـ بـعـدـ ذـلـكـ بـإـضـرـامـ النـارـ فـيـ جـسـدـهـ.

تضـيـيفـ الـمـرـأـةـ:ـ «ـقـامـ الـجـنـوـدـ بـسـحبـهـ إـلـىـ مـنـزـلـ حـجـرـيـ قـدـيـمـ وـصـغـيـرـ يـتـكـونـ مـنـ غـرـفـةـ وـاحـدـةـ وـيـقـعـ فـيـ أـحـدـ بـسـاتـينـ الـفـاكـهـةـ، ثـمـ سـمـعـتـ أـصـوـاتـ إـطـلـاقـ النـارـ. وـبـعـدـ أـنـ غـادـرـ الـجـنـوـدـ، أـخـذـ الـدـخـانـ الـكـثـيـفـ يـتـصـاعـدـ مـنـ الـمـنـزـلـ، ثـمـ هـمـمـتـ مـعـ أـقـرـبـائـيـ إـلـخـمـادـ الـحـرـيقـ، ظـنـاـنـاـ مـنـاـ أـنـ الـجـنـوـدـ قـدـ أـخـذـواـ جـارـنـاـ مـعـهـمـ. كـانـ الـدـخـانـ كـثـيـفـاـ لـدـرـجـةـ جـعـلـتـنـاـ عـاجـزـينـ عـنـ رـؤـيـةـ أـيـ شـيـءـ، وـلـكـنـاـ عـنـدـمـاـ قـمـنـاـ بـإـضـاءـةـ مـصـبـاحـ، وـجـدـنـاـ النـارـ تـشـبـ فـيـ جـسـدـ جـارـنـاـ وـإـلـىـ جـوـارـهـ بـرـمـيـلـ الـدـيـزـلـ كـانـ مـوـجـودـاـ فـيـ الـغـرـفـةـ»ـ.

وـفـيـ نـفـسـ الـيـوـمـ، قـامـ الـجـنـوـدـ بـإـعـدـامـ 6ـ قـرـوـيـنـ، مـنـ ضـمـنـهـمـ رـجـلـ يـلـغـيـ مـنـ الـعـمـرـ 72ـ عـاـمـاـ مـعـ اـبـنـهـ. وـفـيـ مـنـزـلـ تـحـتـ الـإـنـشـاءـ يـقـعـ عـلـىـ مـشـارـفـ الـقـرـيـةـ، حـيـثـ تـمـ الـعـثـورـ عـلـىـ جـثـيـ الرـجـلـ وـابـنـهـ، خـلـفـ الـطـلـقـاتـ النـارـيـةـ 16ـ ثـقـبـاـ فـيـ الـحـائـطـ قـمـتـ بـعـدـهـاـ بـنـفـسـيـ.

لـقـدـ نـمـاـ إـلـىـ عـلـمـيـ الـكـثـيـرـ مـنـ الـأـعـمـالـ الـوـحـشـيـةـ الـتـيـ جـرـتـ فـيـ سـوـرـيـاـ، فـيـ قـرـيـةـ مـشـامـشـانـ، أـصـابـتـ إـحـدـىـ الـقـذـائـفـ مـنـزـلـ عـائـلـةـ يـوسـفـ فـيـ الـأـوـلـ مـنـ شـهـرـ مـاـيـوـ (ـأـيـارـ)ـ الـمـاضـيـ، مـاـ أـسـفـ عـنـ مـقـتـلـ 7ـ مـنـ أـفـرـادـ عـائـلـةـ وـإـصـابـةـ عـدـدـ أـشـخـاصـ آخـرـينـ. وـفـيـ قـرـيـةـ قـوـقـيـنـ، لـقـيـتـ مـرـيمـ الـقـاضـيـ، اـبـنـةـ 5ـ أـعـوـامـ، حـتـفـهـاـ فـيـ يـوـمـ 12ـ مـاـيـوـ عـنـدـمـاـ أـصـابـ مـنـزـلـهـاـ وـابـلـ الـنـيـرـانـ الـذـيـ أـطـلـقـتـهـ قـوـاتـ الـجـيـشـ الـمـتـمـرـكـزـةـ فـيـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـبـلـادـ، مـاـ أـدـىـ إـلـىـ إـصـابـةـ اـبـنـهـ (ـ10ـ سـنـوـاتـ)، وـعـمـهـاـ (ـ70ـ عـاـمـاـ).

وـبـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ، هـنـاكـ بـعـضـ الـقـصـصـ الـأـخـرـىـ حـولـ التـعـذـيبـ الـتـيـ يـرـوـيـهـاـ الـأـشـخـاصـ الـذـيـنـ تـعـرـضـوـاـ لـلـاعـتـقـالـ، حـيـثـ نـجـحـ الـأـشـخـاصـ الـذـيـنـ تـمـكـنـوـاـ مـنـ الـهـرـبـ فـيـ الـخـرـوجـ بـعـظـامـ مـكـسـوـرـةـ وـأـسـنـانـ مـفـقـوـدـةـ وـنـدـبـاتـ عـمـيـقـةـ وـجـرـوحـ مـفـتوـحةـ نـتـيـجـةـ الـتـعـرـضـ لـلـصـعـقـ بـالـتـيـارـ الـكـهـرـبـائـيـ وـالـضـرـبـ. يـعـدـ الـاعـتـقـالـ وـالـضـرـبـ مـصـيـرـ أـيـ شـخـصـ يـشـتـبـهـ فـيـ دـعـمـهـ لـلـمـعـارـضـةـ، حـتـىـ وـلـوـ

بصورة ضئيلة، ولكن الكثير من هؤلاء الضحايا، ومعظمهم من الشباب، لم يكونوا نشطاء سياسيين في الماضي، بل كانوا من مؤيدي الحكومة.

وخوفاً من أن يتعرضوا للقتل أو الاعتقال، يبقى الكثير من الرجال بعيدين عن نقاط التفتيش الخاصة بالجيش، حيث يبدو أن هذا الشعور المنتشر بالخوف قد ترسخ في نفوس الناس، نظراً للزيادة الكبيرة في أعداد الأشخاص الذين تم إعدامهم في الأشهر الماضية.

ينبغي على العالم إرسال رسالة إلى سوريا مفادها أن هذه الأعمال الوحشية لن تستمر. يعتبر حصول بعثة مراقبة الأمم المتحدة على تفويض بمراقبة الأوضاع في سوريا خطوة أولى حاسمة لمحاسبة المسؤولين عن ارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

\* كبيرة مستشاري برنامج مواجهة الأزمات في منظمة العفو الدولية، وقد تجولت داخل سوريا مرات كثيرة خلال الشهرين الماضيين

\* خدمة «واشنطن بوست»

المصدر : الشرق الأوسط

المصادر: